التعريب حدوده وأبعاده الحضارية: دراسة في البنية والوظيفة

يوسف تغزاوي
جامعة محمد الأول الكلية متعددة التخصصات، الناظور، المملكة المغربية

DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v5i2.369

الملخص

يجسد التعريب قانونا اجتماعيا وإنسانيا في مجال تبادل التأثير والتأثر بين اللغات خاصة وأن اقتراض بعض اللغات من بعضها الآخر ظاهرة إنسانية أقام عليها فقهاء اللغة المحدثون أدلة كثيرة، وليست اللغة العربية بدعا في اللغات الإنسانية، بل إنها تتميز في تمثيلها للكلام الأجنبي عن طريق صوغه على أوزانها، وإنزاله على أحكامها، وجعله جزءا من عناصر التعبير فيها. وكان من الضروري تبادل المصطلحات العلمية، واقتراض مسميات الأشياء التي توجد في أمة، ولا توجد في الأخرى منها، مما اضطر العربي -حتى يساير موكب الحضارة-أن يستخدم اللفظ الأجنبي بعدما يطوعه للغته فيعربه، وبذلك يصير اللفظ عربيا يضاف إلى لغته، كما يضم إلى ألفاظه فيستعمله. وفي هذا السياق جاءت هذه الورقة البحثية لتجيب عن إشكالات من قبيل:

*ما مفهوم التعريب؟

*ما الأسباب الداعية إلى التعريب؟

*أين تتجلى طرائق التعريب التي سلكها العرب في تعريب الكلمات الأعجمية؟ وما أطواره؟

*ما هي المقاييس التي وضعها علماء اللغة لتحديد مقاييس العجمة التي تعرف بها الكلمات الأعجمية؟

*ما هي أبعاد التعريب الحضارية؟

وستعتمد هذه الورقة البحثية المنهج الوصفي التفسيري في مقاربة موضوع التعريب بين البنية والوظيفة.

الكلمات المفاتيح:

التعريب – المصطلح – الترجمة – الحضارة – اللغة والهوية – الثقافة العربية.

1-مفهوم التعريب:

1-1-الدلالة اللغوية للمصطلح: ورد في معجم لسان العرب في باب العين: "الإعراب والتعريب معناهما واحد، وهو الإبانة، وعرب منطقه أي هذبه من اللحن (...) وعربه: علمه العربية، وتعريب الاسم الأعجمي: أن تتفوه به العرب على منهاجها. تقول: عربته العرب، وأعربته أيضا" (ابن منظور، لسان العرب، ج. 9، مادة "ع ر ب"، ص. 115).

وورد التعريب عند ابن منظور أيضا بمعنى "تعليم العربية لشخص من الأشخاص، ورادفته العربية بكلمة إعراب، ونتيجة ذلك ورد لفظ معرب" (ابن منظور، لسان العرب، مادة "عرب").

وفي المعجم الوسيط: "عرب المشتري: أعطى العربون، وعن صاحبه: تكلم عنه، واحتج، ويقال: عرب عنه لسانه: أبان وأفصح، والكلام أوضحه، وفلانا: علمه العربية، والاسم الأعجمي أعربه" (إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط (د. ت)، ص. 620). كما يحمل اللفظ أيضا معنى "تهذيب المنطق من اللحن" (الفيروز آبادي، القاموس المحيط، النسخة الإلكترونية، 1999).

يستفاد من التعاريف السابقة أن التعريب في اللغة يدل على الإبانة والإفصاح.

2-2-الدلالة الاصطلاحية لمصطلح التعريب:

أ-**عند القدامى**: يقصد به عند علماء اللغة: "ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها، وذكر الجواليقي في المُعرب مثله، وقال: فهي أعجمية باعتبار الأصل، عربية باعتبار الحال، ويطلق على المعرب الدخيل" (السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص ص. 268- 269).

وحدد الجوهري بعض الآليات التي من شأنها أن تعين على توضيح السمات الدلالية للمفهوم، ورد في الصحاح: "تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها، تقول عرب العرب، وأعربته أيضا" (الجوهري، 1377 هـ، مادة "ع ر ب").

وهو أيضا: "التفوه باللفظة الأعجمية على منهاج العرب في النطق والوزن، فإن وافقت الأصوات والأوزان العربية فهي معربة، وإن لم توافق عدت دخيلة" (الخوري، 2006، ص. 50).

وفي نفس القصد يذهب الزمخشري إلى: "أن معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه، وتغييره عن مناهجه، وإجرائه على وجه الإعراب" (التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج. 3، ص. 207).

أما إذا انتقلنا إلى السيوطي، فنجده يقول: "أن المعرب؛ ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها" (السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج. 1، ص. 268).

وخلاصة القول إن التعريب مصطلح قديم، تفاوت القدامى في النظرة إليه، وفي شروط تحققه، فكان أن اتسع مفهومه عند بعضهم، وضاق عند آخرين. فالمعرب انطلاقا مما سبق هو كل ما وظفته العرب من مفردات أعجمية، شريطة أن تخضع لتغيير واحترام لقواعد العربية من ناحية الصرف والوزن، فما معنى التعريب عند المحدثين؟

ب-**عند المحدثين**:

استعمل مصطلح التعريب في العصر الحديث كرديف لمصطلح المعرب، بحيث يقصد بهما نقل لفظة أو كلمة من لغة أعجمية إلى اللغة العربية بعد تغيير في ميزانها الصرفي بزيادة أو نقصان، أو إبدال في بعض أحرفها لتتوافق واللسان العربي، ويقصد بالتعريب عند المحدثين: "حركة لغوية واسعة النطاق تتمثل في تعريب الألفاظ والمصطلحات الأعجمية في العلوم والفنون والمخترعات الحديثة، وذلك بإيجاد الكلمات العربية التي تقابلها في الدلالة" (حاكم مالك الزيادي، وعلي جاسم سلمان، 2000، ص. 66).

يقول الدكتور أحمد مطلوب -على سبيل المثال- محددا ماهية التعريب:" نقل الكلمة الأعجمية بما يتفق وأبنية العربية وصيغها سواء وقع فيها تغيير أم لم يقع. وقد يسمى اقتباسا؛ لأن المعرب بمعناه الجديد وضع مصطلح عربي غير مقتبس أو مقترض من لغات أخرى" (مطلوب، 1983، ص. 23).

ويحدده عبد العلي الودغيري قائلا: "يطلق عادة على ما دخل اللغة العربية من ألفاظ اللغة الأجنبية، فوقع تداوله واستعماله سواء خضع لقوانين العرب في كلامها، وقيس على بناء من أبنيتها، أم لم يخضع ولم يُقس" (الودغيري، 1989، ص. 189).

ولقد عرف مفهوم التعريب تطورا ملحوظا تبعا للتطور الحضاري، فأصبح هذا المفهوم يحمل دلالات منها حسب ما ذهب إليه الدكتور خالد اليعبودي (اليعبودي، 2006، ص. 149).

*نقل العلوم والآداب والفنون ووسائل المعارف الإنسانية من اللغات الأجنبية إلى العربية.

*جعل اللغة العربية لغة الفكر والعلم والشعور لدى المفكر والمواطن العربيين.

ويذهب الباحث شحاذة الخوري في هذا السياق إلى وجود ثلاثة اتجاهات هي كالآتي (الخوري، 2009، ص. 96):

*تعريب اللفظ: وهو التفوه باللفظة الأعجمية على منهاج العرب أي بوضعها على وزن من أوزان العربية، وقديما قيل: الترياق والناطور.

***تعريب النص:** هو نقله من لغة أجنبية إلى اللغة العربية.

***تعريب المجال:** هو جعل اللغة العربية أداته التعبيرية مثل: مجال التعليم أو القضاء .... وبمعنى أوسع يكون التعريب جعل اللغة العربية لغة للفكر والشعور والحراك الاجتماعي للإنسان العربي.

وقد يتوسع إلى معاني ودلالات أخرى منها: الترجمة، ومنها نقل العلوم، وغيرها من نشاطات الإنسان إلى اللغة العربية، ومنها نقل الصورة الصوتية للفظ الأجنبي إلى اللغة العربية، ويقصد به "نقل الكلمة الأجنبية ومعناها إلى اللغة العربية دون تغيير فيها، أو مع إجراء تغيير وتعديل عليها لينسجم نطقها مع النظامين الصوتي والصرفي في اللغة العربية، وعند نقل اللفظ الأجنبي كما هو إلى اللغة العربية يسمى دخيلا، وعند تغييره يسمى معربا" (القاسمي، 1987، ص. 130).

أما عبد السلام المسدي، فيعرف التعريب بقوله: "مصطلح نوعي يقترن بمعالجة اللسان العربي للألفاظ التي يستقبلها من الألسنة الأخرى مستوعبا إياها دالاً ومدلولا؛ لذا فهو نعت لما يتبع ظاهرة التداخل اللغوي حضاريا، ولذلك دقق القدماء التسمية، فاسموا الظاهرة العامة دخيلا، وخصُّوا قولبة اللفظ الدخيل بمصطلح التعريب" (المسدي، 2010، ص. 55).

ويقر جبور عبد النور في المعجم الأدبي بأن التعريب هو: "ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتهم، بعد كتابتها بالحروف العربية، وإخضاعها لتعديل طفيف في لفظ حروفها، وإخراجها على الأوزان العربية المألوفة، بحيث تصبح مع تقادم الزمن من سائغة حلوة الجرس كأنها أصيلة". (جبور، 1984، ص. 73).

وواضح من خلال ما سبق أن التعريب يعني استبدال اللفظ الأعجمي بلفظ عربي، شريطة الحرص على سلامة اللغة العربية، والدعوة إلى تنقيتها وإثبات قدرتها على الإيفاء بمتطلبات الحياة الجديدة، ومواكبتها للتطور الحضاري، وفي هذا الإطار يقول عبد القادر المغربي: "المعرب هو ما استعملته العرب في الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها" (المغربي، 1947، ص. 16).

فالتعريب إذن وإن اختلف مضمونه، وتعددت تعريفاته بين القدماء والمحدثين، فهو قضية لغوية في المقام الأول، وهو قضية حضارية واجتماعية وفكرية، والسؤال المطروح هو ما الأسباب الداعية إلى التعريب؟

2-الأسباب الداعية إلى التعريب:

يجسد موضوع التعريب قانونا اجتماعيا وإنسانيا في مجال تبادل التأثير والتأثر بين اللغات خاصة وأن اقتراض بعض اللغات من بعضها الآخر ظاهرة إنسانية أقام عليها فقهاء اللغة المحدثون أدلة كثيرة، وليس اللغة العربية في هذا الإطار بدعا في اللغات الإنسانية، بل إنها تتميز في تمثيلها للكلام الأجنبي عن طريق صوغه على أوزانها، وإنزاله على أحكامها، وجعله جزءا من عناصر التعبير فيها. ويذهب الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه فقه اللغة إلى أن "العامل الرئيسي في دخول الكلام الأعجمي في اللغة العربية ما أتيح للشعوب الناطقة من قبل الإسلام ومن بعده من فرص للاحتكاك المادي والثقافي والسياسي بالشعوب الأخرى، وما نجم عن هذا الاحتكاك وعن التطور الطبيعي للحضارة العربية من ظهور مستحدثات لم يكن للعرب ولا للغتهم عهد بها من قبل في ميادين الاقتصاد والصناعة والزراعة والتجارة والعلوم والفلسفة والآداب والدين، ومختلف مناحي السياسة والاجتماع" (وافي، كتاب فقه اللغة، ص. 299- 300).

وكان من الضروري تبادل المصطلحات العلمية، وافتراض مسميات الأشياء التي توجد في أمة، ولا توجد في الأخرى منهما، مما اضطر العربي -حتى يساير موكب الحضارة-أن يستخدم اللفظ الأجنبي بعدما يطوعه للغته، فيعربه، وبذلك يصير اللفظ عربيا يضاف إلى لغته، كما يضم إلى ألفاظه، فيستعمله، وهكذا دخل كثير من المفردات الأجنبية إلى اللغة العربية.

ويمكن أن نجمل الأسباب الداعية إلى التعريب في عناصر هي: (إبراهيم، 1404 هـ، ص. 43، والصوري، 2000، ص ص. 105- 106- 107):

*الضرورة.

*خفة اللفظ الأجنبي في النطق إلى نظيره العربي.

*إعجاب أمة بأخرى.

*الرغبة في التفاخر وحب الظهور.

*اهتزاز المنهج المعتمد لحد الآن في الحركة الاصطلاحية العربية.

*سيادة المنظور الأحادي (الإقليمي)، بحيث أن كل الدول العربية معنية بتنمية اللغة العربية مما جعل معظم هذه الدول تنشئ آليات للتعريب.
*سيادة الخطاب المذهبي، وذلك بتحريك دعوى التوحيد، فيختلط التوحيد الثقافي بالتوحيد المصطلحي العلمي.
*ضعف الرصيد العلمي.
*اختلال الترجمة.

وفي ضوء ما تقدم يمكن أن نقرر أن التعريب سبيل مهم وفعال للحفاظ على روح العربية، والحرص على أصالتها، وديمومة بقائها من غير أن تعلق بها هجنة أعجمية، وهو ليس تجربة لغوية جديدة تواجه الإنسان العربي، بل هو حركة قديمة عرفها العرب منذ عصور بعيدة ولاسيما بعد أن اتصل العربي بالحضارات العالمية إبان ازدهار الخلافة العربية الإسلامية. بيد أن الحاجة إلى التعريب في العصر الحديث ليست هي كالحاجة إليه في القديم بسبب تقدم الأمم الأخرى في ميدان العلوم والفنون والمعارف، وكثرة المخترعات الحديثة، وهو ما أدى إلى وفرة في المصطلحات والألفاظ العلمية الأجنبية، وشيوعها على ألسنة العرب في هذا العصر.

3-طرائق التعريب التي سلكها العرب في تعريب الكلمات الأعجمية وأطواره:

سلك العرب في تعريب الكلمات الأعجمية طريقتان: (إبراهيم، 1404ه، ص. 43):

1-**الطريقة الأولى-** التغيير في أصوات الكلمة وصورتها بما يوافق ألسنتهم وأبنية كلامهم حفظا لألسنتهم من لكنة العجم.

2-**الطريقة الثانية-** إدخال الكلمة الأجنبية بصورتها في العربية دون تغيير.

فالعرب حين يقومون بإدخال لفظ أعجمي في العربية فإنهم يحدثون فيه التغيير الذي يجعله مجانسا لألفاظهم جاريا على قواعدهم منسجما مع نظامهم، ولا يشذون على ذلك إلا قليلا، ومن نواحي هذا التغيير (مبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد، ص. ص. 298- 293، وطالب، 2018، ص. 25):

*تغيير حروف اللفظ الدخيل وذلك بإنقاص بعض الحروف أو زيادتها، وذلك مثل سيموطيقا، وقد يكون ذلك بإبدال الحرف الأعجمي بحرف عربي قريب منه.
*تغيير الوزن والبناء حتى يوافق أوزان العربية، ويناسب أبنيتها، فيزيدون في حروفه، أو ينقصون، ويغيرون مدوده أو حركاته حتى تتم تلك الموافقة، ويراعون في ذلك سنن العربية الصوتية كمنع الابتداء بساكن، أو الوقوف على متحرك، أو توالي ساكنين، وأكثر ما بقي على وزنه وأصله من الألفاظ هو من الأعلام.

فالعرب حين يدخلون اللفظ الأعجمي في لغتهم، يغيرون بعض أشكاله ومظاهره في حروفه وبنائه حتى يكون شبيها بكلامهم مجانسا لألفاظهم، وحتى لا يخل بالنظام الصوتي والبنائي الذي تقوم عليه لغتهم.

إن التطور اللغوي الجديد الذي واجهته العربية في هذا العصر، أملى على علماء العربية لأن يشمروا عن سواعد الجد بغية الحفاظ على سلامة العربية، وإثبات قدرتها الفائقة، فاتبع هؤلاء طرائق ناجعة في تعريب المصطلحات الأعجمية، وقد اتبعوا أسلوبين في هذا الشأن: "الأول- تهيئة المصطلح العلمي بأخذه بجملته من اللغة الأجنبية، وإجراء تغيير طفيف عليه ينصرف إلى الأصوات، ومعالجتها علاجا يهيئ من المادة الأجنبية شيئا على غرار الأبنية العربية والأصوات العربية" (السامرائي، 1979، ص. 77).

أما الثاني- فيتجلى في اتجاه المهتمين بالتعريب "إلى العربية فيختار من موادها مادة على أية هيأة كانت لتؤدي المعنى الجديد، أو قل: المصطلح العلمي" (السامرائي، نفسه، ص. 77).

ولهذا وذاك، فالعرب حين يدخلون اللفظ الأعجمي في لغتهم كما تبين لنا من هذه الطرائق يغيرون بعض أشكاله ومظاهره في حروفه وبنائه حتى يكون شبيها بكلامهم ومجانسا لألفاظهم، وحتى لا يخل بالنظام الصوتي والبنائي الذي تقوم عليه لغتهم.

أما أطوار التعريب فقد قسم العلماء الكلمات الأجنبية التي دخلت العربية في هذا المجال إلى أطوار ثلاثة:

1-"المعرب: وهو ما استعمله العرب الفصحاء من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها" (وافي، فقه اللغة، ص. 199). ويدخل في هذا الطور جميع الكلمات الأعجمية التي وردت في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة.

2-المولد: وهو ما استعمله المولدون من ألفاظ أعجمية لم يعربها فصحاء العرب، مثل: ترجم الرسالة، وبيض الكتابة.

3-المحدث أو العامي: وهو ما عربه المحدثون في العصر الحديث، وشاع في لغة الحياة العامة (ألكسان، 1989، صص. 109- 110).

من خلال ما سبق يتبين أن العلماء العرب القدامى غالبا ما لجأوا إلى وسيلة التعريب بعد استنفاذ الوسائل الداخلية الأخرى، حيث تبنوا طرقا شتى في التعامل مع اللفظ الأعجمي الدخيل، كان أبرزها (اليعبودي، 2010، ص. 213):

1-اشتقاق كلمة عربية تؤدي دلالة المصطلح الأعجمي، دون أي تغيير يمس سماته الدلالية، من ذلك اشتقاق لفظ "أثل" مقابل "اقاقليس".

2-إيجاد كلمة عربية مستعملة وتوظيفها للدلالة على المفهوم الأجنبي، مع توسيع أو تقييد لسماتها الدلالية، كاستعمالهم ألفاظ "الكيد" و"الابتزاز" و"الاستعلاء" لتسمية مواضع الكواكب في الفضاء.

3-اللجوء إلى "ترجمة" الكلمة الدخيلة بلفظ عربي أو بعبارة عربية باعتماد وسيلة "المجاز"، كترجمة المفهوم اليوناني "بولو غالين" بـ "مكثر اللبن" وترجمة المفهوم الفارسي "أشترغاز" بـ "شوك الجمال".

4-تبني أسلوب التعريب بعد استنفاذ إمكانات الوسائل السالفة الذكر.

وتجدر الإشارة إلى أن تناول التعريب بالتراث العربي، سقط في مجموعة من الهفوات أو الثغرات، أجملها الدكتور خالد اليعبودي في الآتي:

أ-جهلهم بمعظم اللغات الأعجمية التي تشكل مصادر المصطلحات الدخيلة، وعدم معرفتهم بالمعاني الأصلية للمفاهيم الأجنبية.

ب-اضطراب المعربين في رسم الكلمات الأجنبية، حيث شهدنا مقابلة الصامت الفارسي بأكثر من صامت عربي، وكذا عند مقابلة الصوامت اليونانية، أما المصوتات فهي نظرا لمحدوديتها في العربية لا تستوجب نقلا دقيقا بين العربية واللغات المصدر.

ج-اختلاف المعربين القدامى في تطويع اللفظ الدخيل إلى بناء عربي؛ حيث صاغوه على أشكال وهيئات متعددة.

د-أجهد القدامى أنفسهم في إلحاق الألفاظ المعربة بصيغ عربية إلى حد دفعهم إلى التحامل أحيانا.

ز-محاولة الدارسين القدامى تأصيل الكلمات الدخيلة بردها إلى أصول عربية.

و-التخطيط في الاشتقاق من الأعجمي.

ي-تداخل بين دلالتي الأصيل والمعرب (اليعبودي، نفسه، ص ص. 213- 214).

أما دراسات الباحثين المحدثين لظاهرة التعريب فقد تميّزت بسمة أساسية تتجلى في تعميم دلالة المفهوم، بحيث أصبح يشمل:

-التعريب اللفظي بالصيغة والصوت.

-التعريب اللفظي –المعنوي.

-تعريب الفكر عن طريق الإبداع في توليد المقولات والمتصورات، وجعل العربية متداولة بجميع القطاعات العلمية والإدارية (اليعبودي، نفسه، ص. 215).

ولكن ما هي المقاييس التي وضعها علماء اللغة لتحديد مقاييس العجمة التي تعرف بها الكلمات الأعجمية؟

4-المقاييس التي وضعها علماء اللغة لتحديد مقاييس العجمة التي تعرف بها الكلمات الأعجمية:

يمكننا تلخيص أهم مقاييس العجمة التي وضع لها بعض علماء اللغة علامات تعرف بها الكلمات الأعجمية فيما يلي:

1-أن تكون الكلمة مخالفة للأوزان العربية مثل: ابريسم – آمين – جبريل.

2-أن تكون فاء الكلمة نونا، وعينها راء، مثل: نرجس – نرد - نورج

3-أن تنتهي الكلمة بدال يعقبها زاي مثل: مهندز – الهنداز.

4-أن يجتمع في الكلمة الصاد والجيم مثل: الصولجان – الجص – الضج.

5-أن تجتمع الكلمة على الجيم والقاف مثل: المنجنيق – الجوسق – الجوقة.

6-أن تكون الكلمة رباعية أو خماسية مجردة من حروف الذلاقة (الميم –الراء – الباء – النون – الفاء – اللام) مثل: جوسق – عقجش – حظائج.

7-أن تكون الكلمة مبنية من باء أو سين وتاء، فإذا جاء ذلك في كلمة فهي دخيل (الجواليقي، 1389ه، ص. 60).

8-أن يجتمع في الكلمة الجيم والطاء، مثل: الطاجن والطيجن.

9-أن ينقل عن أحد أئمة العربية أن الكلمة المعنية أعجمية (السيوطي، 2009، ص. 214).

ولكن ما هي أهم العوامل المؤدية إلى التأثر بالكلام الأعجمي؟

يمكن تلخيص أهم العوامل المؤدية إلى التأثر بالكلام الأعجمي فيما يلي:

-إن الاحتكاك المادي والثقافي والسياسي بالشعوب الأخرى هو الذي أدى بظهور ألفاظ ومصطلحات تقنية جديدة متداولة بميادين العلوم الأجنبية، وبمجالات متنوعة من أدب وفلسفة وديانة لا عهد للعرب بها من قبل.

-خفة بعض الألفاظ الأجنبية في النطق، مقارنة بمعناها في اللغة العربية.

-التفاخر بالنفس لمن ينطق بالألفاظ الأعجمية في بعض المجتمعات العربية، باعتبارها لغات رائدة في الحضارة حتى يحدد انتماءه الاجتماعي إلى طبقة النخبة.

-محاولة التعبير عن بعض التصورات والمخترعات الحديثة بمصطلحات لا وجود لها في المعجم العربي (فتوح، 2018، ص. 337).

انطلاقا مما سبق، نخلص إلى أن التعريب دراسة من الدراسات المعاصرة في اللغة العربية في عصرنا الحاضر، وهي نتيجة من نتائج اللقاء بين الحضارات العالمية، فأصبحت الآن الكلمات العربية المعربة من اللغات الأخرى. فما هي أبعاد التعريب الحضارية؟

5-أبعاد التعريب الحضارية:

لقد بات التعريب في هذا العصر بمفهومه القومي الواسع كسراً لطوق التخلف السياسي، وتلك التبعية التي ربطت بعض أقطار الوطن العربي بعجلة الغرب أو الشرق سياسيا وتقنيا واقتصاديا. ويعد التعريب عاملا جوهريا من عوامل توحيد الأمة العربية في هذا العصر، مادامت لغتنا قادرة، بل متمكنة من مدنا بما نحتاج إليه من الألفاظ والمصطلحات بطرائقها المعروفة في توليد المفردات على سبيل الاشتقاق والنحت والمجاز والنقل والتركيب والارتجال، ولنا في أسلافنا الأنموذج الأمثل والقدوة الحسنة في هذا الباب، فهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي حين اهتدى إلى أوزان الشعر العربي من خلال كشفه عن البحور الشعرية المعروفة وجد حاجة في نفسه إلى مجموعة من المصطلحات الفنية لتسمية تراكيب أجزاء البيت الشعري، ولكنه لم يستعر تلك المصطلحات من لغة أخرى، وإنما اتخذ "لذلك أسماء من الخيمة وأجزائها، والناقة، وما يتعلق بها، فسمى الحرفين مثلا (السبب) وهو لغة الحبل، وسمى الأحرف الثلاثة (الوتد)، وسمى الجزء الأخير من الشطر الأول من البيت (العروض) وقد بقيت تلكم المصطلحات مستعملة حتى يومنا هذا كما يعرفها أهل الاختصاص" (حاكم مالك الزيادي، وعلي جاسم سلمان، 2000، ص. 67).

وقد تطور المفهوم عبر العصور كنتيجة حتمية للتطور الحضاري، والتغيرات الاجتماعية والثقافية الحاصلة في العالم العربي، ولذلك ميز عدد من الدارسين بين المفهوم الديني الإسلامي للتعريب والمفهوم التعليمي الاجتماعي – الحضاري –الأدبي العلمي). وفي إطار هذا المفهوم الشامل للتعريب اقترح جوادحستي سماعنة مرحلتين أساسيتين لتأصيل المجالات الحضارية والعلمية في الوطن العربي (اليعبودي، 2010، ص. 216):

*المرحلة الأولى: تخص التعريب الأولي لتجليات الحضارة عن طريق:

-الجرد اللغوي والمصطلحي لأمهات المصنفات في التراث العربي، ولمجموعة من الأعمال العلمية المعاصرة في إطار موحد، وستسفر هذه المرحلة عن بناء:

*المعجم التاريخي الكبير الذي سيكون عمدة لغوية ودلالية وتأصيلية لواضعي المصطلح العربي.

*معجم المعاني والمفاهيم، يشتمل على المعاني والمفهومات القديمة والحديثة في اللغات الثلاثة: العربية – الإنجليزية – الفرنسية، ويبوب بحسب الحقول العلمية.

*المعجم الحضاري، وغايته تعريب المجتمع العربي من الناحية الحضارية، وتقويم اللسان العربي من الأخطاء المتداولة عند اللجوء إلى مصطلحات المأكل والملبس والزراعة والفنون.

*المعجم العلمي الكبير يهدف إلى سد النقص الحاصل في تعريب مفاهيم العلوم في مختلف مراحل التعليم في الدول العربية، ويرتكز على تعريب أشمل معجمين في اللغتين الإنجليزية والفرنسية وأجودهما.

*المرحلة الثانية: تتوخى التعريب الموحد بعد إنجاز معاجم المرحلة الأولى، وتحث على توحيد السياسات اللغوية العربية، واعتماد منهجية متكاملة للتنسيق المصطلحي عن طريق:

-الإعداد المصطلحي والمعجمي من قبل جهة محددة.

-دراسة المصطلحات والخطة المعتمدة في معالجة القضايا المصطلحية.

-إقرار ما اتفق عليه من مصطلحات، والعمل على توحيدها.

-المتابعة الدائمة للمستجد من المفاهيم والمصطلحات.

انطلاقا من هذه المعطيات المعرفية نقول: لقد اهتمت الأمة بمسالة التعريب منذ بداية هذا القرن، وصارت الأقطار العربية تشهد حركة لغوية بدافع من الحس القومي واليقظة القومية التي يحياها العرب، فإطلالة العصر الحديث على الأمة العربية بتقنياته ومخترعاته العلمية والفنية والحضارية الكثيرة، جعل العرب يواجهون سيلا أو ترسانة من المفاهيم والمصطلحات والألفاظ العلمية والحضارية الأعجمية التي ما انفكت تنهال دون انقطاع.

وفي ضـــوء ما تقدم يمكن الإقرار بأن التعريب ســـبيل وأداة فعالة للحفاظ على روح العربية، والحرص على أصـــالتها وديمومة بقائها، ولاســـيما بعد اتصـــال الإنسان العربي بالحضارات العالمية إبان ازدهار الخلافة العربية الإســـلامية. فالتعريب في نهاية الأمر ليس ســـهل المنـال؛ لأنـه تغيير لغوي كبير يحتـاج إلى مزيد من الجهد والوقت والوعي والثقافة.

علاوة على أنـه لا يمكن إنكـار دور الـدوافع القومية وأثرها الإيجابي في حيوية ونشـــاط حركة التعريب، كإسهام المجامع اللغوية ومكتب تنسيق التعريب فضلا عن الجامعات والمؤسسات الأخرى، وبالتالي فإن عملية التعريب في مختلف مجالات الحياة هي عملية مهمة وواجب قومي حضاري وثقافي تنم عن وعي لغوي أصيل، وتعبر عن مسؤولية لغوية كبيرة، ومسوغنا في هذا الزعم ما ذهبت إليه الباحثتان "فيروز ســـوباكير وتياس براديت أســـطاري" ذلك بوجود أبعاد التعريب الحضـــارية في الزمن القديم والحديث، والتي يمكن تلخيصـــها كالآتي (فيروز ســـوباكير وتياس براديتا أسطاري، 2013، ص .319).

-تأثير الشعوب المجاورة للعرب والأقوى حضارة منهم (حضارة الفرس والروم).

-العلاقة العائلية بين اللغة العربية واللغات السامية.

-العلاقة العلمية واختلاط العرب بأهل البلاد المفتوحة.

من البيان الســـابق، نرى أن اللغة العربية تنمو وتتكاثر بطريقي التعريب والاشتقاق، ولقد ظهر التعريب قبل الإســـلام باختلاط العرب بالشـــعوب المجاورة لها كاليونان، والرومان، والآراميين، والحبشـــة، والفرس، فأثرت لغة هذه الشـــعوب في اللغة العربية حتى أخذت منها بعض كلماتها، وجعلتها عربية. إذن عن طريق التعريب تعرف الشعوب بعضها بعضا، يتعرف الناس في هذا البلد إلى عادات الناس في ذلك البلد، إلى أعرافهم، تقاليدهم، أفكارهم، آدابهم، ســـلوكهم، تاريخهم، بل حتى إلى تضـــاريســـهم وجغرافيتهم، على أن التواصـــل الثقافي عملية تبادلية تتم بين طرفين أو أكثر، ويتم من خلالها انتقال الأنماط الســـائدة والتقارب بين الأفكار ووحدة النموذج البشري.

إن نظرة واحدة نلقيها اليوم على بني البشـــر ترينا أنهم يوما فيوما يزدادون قربا بعضـــهم من بعض الآخر، ذلك أن عملية التواصـــل الثقافي الذي يشـــكل التعريب عموده الفقري، كفيل بأن يلغي التباينات الشديدة، أن يخلق النموذج العام الذي يعمل الناس على احتذائه.

ولعل التعريب يكتسب أهميته وبعده الحضاري من النقاط التالية:

1-التعريب محرض ثقافي يفعل فعل الخميرة الحفازة في التفاعلات الكيماوية؛ إذ تقدم الأرضية المناسبة التي يمكن للمبدع والباحث والعالم أن يقف عليها، ومن ثم ينطلق إلى عوالم جديدة؛ وذلك لتحسين العقل البشري، وتطوير المعرفة لدى الإنسان، ونرى هذا في حضارات الشرق، اليابان والصين.

2-التعريب يجســـر الهوة القائمة بين الشـــعوب الأرفع حضـــارة والشـــعوب الأدنى حضـــارة، بحيث تلعب نقاط الاحتكاك الجغرافية دور الجســـر الحقيقي أو الجســـر الحضاري الذي شكلته هذه البلدان.

3-التعريب هو الوســـيلة الأســـاســـية للتعريف بالعلوم والتكنولوجيا.

4-التعريب عنصر أساسي في عملية التربية والتعليم.

5-التعريب هو الأداة التي يمكننا بـه مواكبة الحركة الفكرية والثقافية في العالم.

6-التعريب وســـيلة لإغناء اللغة وتطورها وعصـــرنتها (ناصيف، 1410 هـ، ص. ص. 58- 59).

ونظرا للفروق في الطبيعة التكوينية للغة العربية واللغات الأجنبية تواجه عملية التعريب عدة صـــعوبات أهمها (طالب، 2018، ص. 25- 26):

*تقاوم العربية التعريب المباشـــر لبعض التراكيب الأوربية بســـبب القيود البنيوية الحرفية المبنية على الجذور الثنائية والثلاثية والرباعية، ونظام الاشـــتقاق المقيد من جهة أخرى بأربعة حروف للجذور وخمســـة حروف لصـــيغ الاشـــتقاق، وهذه القيود لا تسـمح بإدخال مصطلحات –مثل (E'lectro glottgraph).

*طريقة نقل النطق الإنجليزي أو الفرنســـي إلى العربية فهناك أصـــوات في الانجليزية والفرنســـية تتنوع طرق تمثيلها كتابيا بالحروف العربية. فالأنســـاق الصـــوتية بين اللغة العربية واللغات الأجنبية غير متكافئة، فالفرنســـية مثلا: لا تتوفر على (خ، ح، ع، ق)، وفي المقابل لا تتوفر العربية على (G, V, P)، المعربة إلى (ب، ف، ج).

*اختيار التعريب كوسيلة من وسائل النقل لابد أن يكون له ما يبرره.

*ضـــرورة أن تتفق صـــيغة اللفظ المعرب مع الذوق العربي المعاصر، حتى لو أدى ذلك إلى تحوير المصطلح لتقترب من الميزان الصرفي العربي.

وعلى الرغم من أن التعريب ظاهرة لغوية عالمية لا تكاد تســتغني عنها لغة أي أمة، فإن ثمة مخاطر تنجم عن هذه

الظـاهرة في العربيـة. وهي مخـاطر تزعزع ثوابتهـا اللغوية، وتهدد بنيتها العامة، ويمكن أن نذكر أهمها فيما يلي (فتوح، 2018، ص ص. 337- 338).

-ضياع القيمة التعبيرية للجذر العربي.

-إرباك المعجمية العربية، وذلك بإدخال جذور جديدة يصعب تصنيفها في إطارها الذي يعتمد على نظام الأسر اللغوية المؤلفة من الجذر واشتقاقاته.

-غموض معنى المقترض في معجماتنا، وذلك أن واضعيه يظنون أنه معروف للجميع كما هو معروف متداول فيما بينهم، ولذا فهم يكتفون بذكره، وهذا الذكر لا يوحي للقارئ بأية دلالة، مثل ذلك معربات المجمع العراقي (براص) للمصطلح الأجنبي (brass) الدال على جزء من آلة الاحتراق الداخلي.

-صعوبة ضبط اللفظ المعرب؛ لأن مبادئ التعريب ضوابط تقريبية أكثر منها قواعد دقيقة.

-خرق القواعد الصرفية العربية.

-زيادة المشترك اللفظي.

-إدعاء التأصيل والتمحل في تعليله على النقيض من اتجاه ادعاء التعريب بلا سبب قوي مقنع.

-تهديد اللغة العربية، وتضييع خصائصها، بحيث لا يرى نفر من المعربين واللغويين مسوغا للخوف من كثرة المعربات، وحجتهم في ذلك أن الألفاظ كثرت، أو قلت ليست من مقومات اللغة.

وأضاف الدكتور أحمد مطلوب كذلك:

*الاقتصاد في التعريب.

*أن يكون المعرب على وزن عربي من الأوزان القياسية أو السماعية.

*أن يلائم جرس المعرب الذوق العربي وجرس اللفظ العربي.

*ألا يكون نافرا عما تألفه اللغة العربية (مطلوب، 2003، ص. 18).

ولا يمكن أن ننكر ما للدوافع القومية من أثر قوي في نشاط حركة التعريب في الآونة الأخيرة، فإن دعاة الوحدة العربية يجدون في تعريب المعارف والعلوم -لاسيما في المؤسسات التربوية والتعليمي- عاملا مهما من عوامل قيام الوحدة العربية التي ما انفكت عراها قوية على الرغم من امتداد مخالب التجزئة إلى كل بقاع الوطن العربي.

إن عملية التعريب في مختلف مجالات الحياة، هي عملية مهمة وواجب قومي حضاري وثقافي، تنم عن وعي لغوي أصيل، وتعبر عن مسؤولية لغوية كبيرة تجاه لغة القرآن الكريم، ولغة الحضارة والتاريخ والتراث.

إن أهمية التعريب وأثاره الحميدة تقتضي في هذا العصر أن تتظافر جهود المختصين بعلوم العربية ومعارفها، وأن تتوحد جهودهم لإيجاد أفضل الطرائق والسبل في الكشف عن المصطلحات المعربة.

خاتمة:

خلص البحث إلى مجموعة من النقاط هي كالآتي:

*التعريب ظاهرة لغوية عرفت بين الشعوب منذ القدم، وهو إحدى وسائل نمو الثروة اللغوية إذ لا تكاد تخلو لغة من اللغات من ذلك بفعل التأثير والتأثر.

*ينبغي أن تتم مقاربة مسألة التعريب في إطار منهج جدلي يأخذ بالاعتبار الطرح الداخلي الذي يركز على اللغة كبنية أساسية لها خصائصها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، والطرح الخارجي الذي يربط اللغة بمحيطها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

-ازدادت الحاجة إلى التعريب بفعل المثاقفة حيث توفر هذه الآلية نقل واستعارة المصطلحات الأجنبية لتأدية مفاهيم معينة في لغاتها يصعب أداؤها بغير لغتها.

-إن الكلمة حين تعرب تخضع لآثار البيئة والتفاوت الحضاري.

-التعريب قضية معاصرة ومسايرة للمد الحضاري العالمي الحديث.

-تجدد اللغة العربية تراثها اللفظي على مر العصور بطرق عديدة، ومنها التعريب، وهو من وسائل نمو اللغة، ورفد العلوم المستحدثة بمصطلحات دقيقة.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم أنيس وآخرون. (د. ت). المعجم الوسيط، ط. 2. دمشق: دار الفكر.
- إبراهيم محمد أبو سكين. (1404 ه). فقه اللغة. مصر: مطبعة الأمانة العامة بمصر.
- ألكسان، جان. 1989. الترجمة الأدبية والتنمية الثقافية. مجلة الوحدة السنة السادسة. العدد 61/ 62، (أكتوبر نوفمبر).
- ابن منظور. لسان العرب. تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي. ط. 3، 1999، ج. 9، مادة "ع ر ب". بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ابن منظور. (د. ت). لسان العرب. مادة "عرب". مكتبة المعاجم والغريب والمصطلحات (قرص ممغنط). عمان: مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي.

- التهانوي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. تحقيق لطفي عبد البديع، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- جبور، عبد النور. (1984). المعجم الأدبي. ط 2. لبنان: دار العلم للملايين.
- الجواليقي ابو منصور. (1389 ه). المعرب من الكلام على حروف المعجم. تحقيق أحمد محمد شاكر. ط. 2، مصر: دار الكتب المصرية.
- الجوهري، 1377ه. معجم صحاح اللغة، تقديم أحمد عبد الغفور عطار. مادة (ع ر ب). مصر: القاهرة.
- الخوري، شحادة. (2006). توجهات أساسية في وضع المصطلح. مجلة التعريب. العدد 30. دمشق: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر.
- الخوري، شحادة. (2009). الترجمة والمصطلح ودورهما في إغناء المعرفة العلمية والتعريب الشامل، مجلة التعريب. العدد 37. دمشق: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر.
- الزيادي، حاكم مالك. (2000). الاقتراض اللغوي، المورد بحوث ودراسات، العدد الرابع. العراق. ص ص. 59 ـــــ 70.
- السامرائي، إبراهيم. (1979). مقدمة في تاريخ العربية. بغداد: دار الحرية للطباعة.
- السيوطي جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور. ط. 2، 2009. بيروت: دار الكتب العلمية.
- السيوطي، عبد الرحمان جلال الدين. (د. ت). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق علي محمد اليحياوي. محمد أحمد جاد المولى وآخرون. بيروت: منشورات المكتبة المصرية.
- الصوري، عباس. (2000). بين التعريب والتوحيد ضمن أعمال ندوة قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزء الأول. سلسلة الندوات. 9- 10- 11 مارس 12. مكناس: جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. ص ص. 99 ـــــ 107.
- طالب، سعاد. (2018). الاقتراض اللغوي ودوره في إثراء المعجم الاصطلاحي النقدي العربي الحديث، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الخامس. ص ص. 22 ـــ 38.
- فتوح محمود. (2018). الاقتراض اللغوي في أدب الجاحظ بين دلالة التأصيل والإهمال، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب. الجزائر: جامعة محمد بوضياف المسيلة. كلية الآداب واللغات. العدد الثالث. الجزء 2. ص ص. 335 ـــــ 348.
- فيروز سوباكير وتياس براديتا أسطاري. (2013). التعريب في اللغة العربية دراسة وصفية صرفية، جامعة دار السلام الإسلامية: كلية التربية. journal At-TA dis, vol. 8, N°. 2 , Decembre, p. 319. ص ص. 317 ـــــ 332.
- القاسمي، علي. (1987). علي القاسمي، مقدمة في علم المصطلح. ط 2. مصر: مكتبة النهضة المصرية.
- مبارك، محمد. (د ت). فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد. ط 2. دمشق: دار الفكر.
- المسدي، عبد السلام المسدي. (2010). مباحث تأسيسية في اللسانيات. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- مطلوب، أحمد. (2003). في المصطلح النقدي. منشورات المجمع العلمي. مطبعة المجمع.
- مطلوب، أحمد. (1983). حركة التعريب في العراق. معهد البحوث والدراسات العربية.
- المغربي، عبد القادر. (1947). الاشتقاق والتعريب. مصر: القاهرة.
- ناصيف، عبد الكريم. (1410 هـ). الترجمة" أهميتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبية. مجلة الوحدة، السنة السادسة، العدد 61- 62 تشرين 1/ تشرين 2/ اكتوبر / نوفمبر 1989، ربيع 1/ ربيع 2-. 57 ـــــ 67.
- وافي علي عبد الواحد. (د ت). كتاب فقه اللغة، مصر: طبعة دار نهضة مصر القاهرة.
- الودغيري، عبد العلي. (1989). من قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي. الرباط: منشورات عكاظ.
- اليعبودي، خالد. (2006). آليات توليد المصطلح وبناء المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة اللغات. فاس: منشورات ما بعد الحداثة.
- اليعبودي، خالد. (2010). الاقتراض اللغوي والتعريب في العربية، مجلة جذور، ج 30، مج 12، محرم 1431 هـ. السعودية: النادي الأدبي الثقافي بجدة. ص ص. 179 ـــ 234.